حُجّة جديدة في المحدّدات اللسانيّة للفكر الإنسانيّ[1]

ترجمة: محمد حمدان الرقب
باحث أكاديمي ومدرس لغةٍ عربية، الأردن

الملخّص

نحاجج بأنّ المفاهيم النّحويّة الشّائعة، مثل مقولة الشّخص (بالمعنى النّحويّ) أو الزّمن، تمثّل تحدّيًا غير معترف به لفكرة استقلال الفكر الإنسانيّ عن اللّغة. تقوم حجّتنا على أنّ هذه المفاهيم تحدّد جوانب من التّعابير اللّغوية تُعرِّف أيضًا، بصورة منهجيّة، محتوى الأفكار المعبَّر عنها في اللّغة وهُويّتها. ولمّا كانت هذه المفاهيم النحوية لا تُعرف لها نظائر غير نحويّة، فإنّ الأفكار المعنيّة لا تبدو غير لغويّة في طبيعتها. ومن ثمّ، نستنتج أنّ اللّغة لا يُرجّح أن تكون مجرّد وسيط للتّعبير عن أفكار مكوَّنة استقلالًا عنها.

الكلمات المفتاحيّة: اللّغة والفكر. النّحو. المفاهيم. الإشاريّات.

(1) بحث منشور في مجلة اللسانيّات والفلسفة: Linguistics and Philosophy (2024) 47:1027–1043

1. المقدّمة

تحملُ الأنظمة التّمثيليّة، مثل الموسيقى والصّور والخرائط، صورًا من المعاني الرّمزيّة. ومع ذلك، لا يفي أيٌّ من هذه الأنظمة بالتّعبير عن النّمط الخاصّ من التّفكير الذي تجسّده اللّغة، فالتّعبير عن هذا النّمط من التّفكير متأصّلٌ في كلّ ما نلفظ به، كما هو الحال مع خصوصيّة نوعه. وتتجلّى هاتان الحقيقتان بجلاءٍ في الحالات غير النّمطيّة، إذ لا يُعبّر عن أيّ فكر، أو عن أفكار مغايرة لما يبدو أنّه ملفوظات. تشمل هذه الحالات الببّغاوات المتكلّمة (بناءً على الافتراض القائل إنّها لا تعبّر عن الأفكار البشريّة التي تُعبَّر عنها عادةً عبر الملفوظات التي تكرّرها)، والرّوبوتات الشّبيهة بالبشر (ما دمنا لا نعدّها مفكّرة بالطّريقة البشريّة بعدُ)، والتّكرار الصّدويّ في اضطراب التّوحّد (إذ يُعاد الكلام بنصّه من طرف من وُجّه إليهم؛ سعد وغولدفلد، 2009)، وكذا الكلام الوسواسيّ أو غير المنظَّم لدى المصابين بالفصام (الذي، في أشدّ حالاته، يُنتَج بسلاسة، ولكن من غير أن يعبّر عن أيّ فكرٍ مفهوم؛ توفار وآخرون، 2019أ). إنّ جميع هذه الحالات تخلّ بالمتوقَّع في الأحوال العاديّة، وهو أنّ الجُمَل التي ننطق بها مرتبطةٌ بنمط تفكير محدّد، يتجلّى عالميًّا في كلام الأفراد ذوي الأداء العصبيّ النمطيّ.

إنّ نمط التّفكير ذاته، فيما نعلم، لا يُعرف له وجود تجريبيّ مستقلّ عن التّعبير اللسانيّ عبر قناة حسّيّة-حركيّة أو وسط فيزيائيّ معيّن. وتُعدّ من الحالات التي يبدو فيها هذا النّمط منفصلًا عن اللّغة: البالغون المصابون بمتلازمة المُنحبِس – Locked-in Syndrome، إذ يكونون في وعيٍ كاملٍ لكنّهم عاجزون عن التّحكّم الحركيّ اللّازم لإنتاج الكلام (لوريس وآخرون، 2005)، وكذلك الأطفال الذين يعانون من إعاقات حركيّة شديدة، أو خلل النّطق الخَلْقيّ – Congenital Anarthria أو تعذّر الأداء النّطقيّ التّطوّريّ – Developmental Apraxia، إذ يمكن أن تكون بنيتهم الذّهنيّة سليمة رغم غياب القدرة على الكلام (جيرنسباشر، 2004؛ ستورمزولد وليختنشتاين، 2017)، فضلًا عن البالغين المصابين بالحُبسة اللّغوية الشّاملة – Global Aphasia، إذ رغم

إعاقتهم الكبيرة في إنتاج اللغة وفهمها، قد يظهرون قدرة على التّفكير الطّبيعيّ (فيدورينكو وفارلي، 2016؛ إيفانوفا وآخرون، 2021؛ فارلي وسيجل، 2000).

إنّ هذه الحالات ليست سوى حالاتٍ ظاهريّة فحسب، إذ أن اللّغة في حالات الإعاقة الحركيّة النّطقيّة تظلّ حاضرةً حضورَ الفكر نفسِه، كما تكشف عن ذلك تقنيات التّواصل المعتمدة على التّحكّم البصريّ بالحاسوب، كما هو مبيّن في دراسة لوريس وآخرين (2005)، أو لوحات المفاتيح المصمّمة تصميمًا خاصًّا لتتلاءم مع القدرات الحركيّة، بحسب ما أشار إليه جيرنسباشر (2004). ولذلك، فإنّ الأدلّة المفترضة على الانفصال بين اللّغة والفكر تعتمد على خلط جوهريّ بين اللّغة والكلام. إضافةً إلى ذلك، فإنّ الأدلّة على وجود الفكر الطّبيعيّ في هذه الحالات عادة ما تأتي من وجود اللّغة (وخاصّة الفهم) أيضًا. أمّا في حالة الحبسة، فإنّ بعض القدرات اللغويّة وفوق اللغوية – Metalinguistic تظلّ موجودة عادةً فيها (بما في ذلك الحبسة الشّاملة كما في دراسة فارلي وسيجال، 2000)، وغالبًا ما تخضع للانتعاش الجزئيّ على الأقلّ، وبذلك لا تُفقد بصورةٍ كاملةٍ. وفي رأي شائع، فإنّ الحبسة النّاتجة عن السّكتة الدّماغيّة هي مشكلة "وصول" إلى اللّغة بدلًا من أن تكون مشكلة في اللّغة نفسها أو في معرفة قواعدها الأساسيّة وتمثيلاتها، التي تظلّ على هذا النّحو سليمة(2). إذا كان الأمر كذلك، فلا يوجد انفصال بين الفكر واللّغة في هذه الحالة، حتّى وإن كانت اللّغة تُنتَج في الكلام إنتاجًا غيرَ سلسٍ.

ومع ذلك، فإنّ الدّليل على أنّ نمط التّفكير يُعبَّر عنه بفرادةٍ فقط في اللّغة، وأنّه دائمًا ما يحضرُ مع اللّغة التي يُعبَّر بها عنه، لا يدحضُ الرّأيَ القائلَ إنّ هذا النّمط مستقلّ عن اللّغة. وعلى وجه الخصوص، يتّسق الدّليل مع فكرة أنّ البشر

(2) بالاستناد إلى هولا Hula وماكنيل McNeil (2008، ص. 169)، "فإنّ آليّات اللّغة محفوظة جوهريًّا، وإنّ السّلوكيّات اللّغويّة المرتبطة بالحُبسة Aphasia ناتجة بدلًا من ذلك عن ضعف العمليّات المعرفيّة التي تدعم بناءها" (انظر أيضًا ماكنيل 1988 McNeil؛ بيتس وآخرين 1991 .Bates et al؛ ماكنيل وبرايت 2001 McNeil & Pratt؛ ميرمان وبريت 2014 Mirman & Britt؛ فيدورنكو وآخرين Fedorenko et al. 2023. (الباحثون).

قد كانوا أوفرَ حظًّا إذ اهتدوا إلى نظام لا يقتصر على امتلاك هذا النّمط من الفكر، بل يتمكّن أيضًا من التّعبير عنه بفاعليّة. ربّما يكون هذا النّظام تمثيلات تصوّريّة تتكيّف معها اللّغة تكيّفًا فريدًا وتُعكِسها. وفي غياب مثل هذه الحظوظ الجيّدة، لن يتغيّر الفكر؛ بل سيصعب التّواصل. وهذا يُفضي إلى أنّ النّمط الفكريّ هذا ذو أصل مستقلّ، في حين أنّ اللّغة تطوّرت لتصبح وسيلته الطّارئة للتّعبير، أو للتّجسيد، أو للتّواصل(3).

تُقرّ وجهة نظر أضعف في الاتّجاه ذاته بأنّ اللغة يمكن أن تعزّز التّطوّر المعرفيّ وتدعم عمليّة التفّكير لدى الكبار؛ ما يمنحها دورًا في كيفيّة عمل الفكر البشريّ وتطوّره، كما أشار إلى ذلك لوبيان Lupyan2016، ونوفاك وواكسمان Novack Waxman2019، وولف Wolff وهولمز Holmes 2010. من ناحية أخرى، يرى جلايتمان Gleitman وبابافراغو Papafragou 2013 أنّ التّمثيلات اللّغويّة تؤدّي دورًا في تخزين التّجربة وتنظيمها وتذكّرها، لكنّهما يشدّدان على أنّ هذه التّأثيرات مؤقّتة في أثناء المعالجة المباشرة، بحيث تظلّ التّمثيلات المفاهيميّة غير اللّغويّة بمنأى عن التّأثّر. ويُستشهد تقليديًّا أيضًا بقدرات التّفكير لدى الفئات

(3) يتناول هينزن Hinzen وشيهان Sheehan2015 من النّاحية المفهومية، طيفًا من الآراء المتّسقة مع هذا التّوصيف بوصفها "ديكارتيّة"، ويقابلانها برؤيتهما الخاصّة "غير الدّيكارتيّة". وللاطّلاع على تجلّيّات حديثة للرّؤية الدّيكارتيّة في النّظريّة اللّسانيّة، يُنظر في ساورلاند Sauerland وألكسيادو Alexiadou 2020، وفي علوم الأعصاب وعلم الأعصاب السّريريّ، يُرجع إلى فيدورنكو Fedorenko وفارلي Varley2016، وفي علم النّفس النّمائيّ، يُنظر في فاغنر Wagner ولاكوستا Lakusta2009، وكذلك في مناقشة أونال Ünal وبابافراغو Papafragou 2020. أمّا في علم النّفس اللّغويّ، فإنّ نموذج ليفلت Levelt 1989 الشّائع لاعتمادِه في إنتاج الكلام ذو صلة كذلك، إذ يصف إنتاج الكلام بوصفه صادرًا عن "مفاهيميّ" يُنتج " نيّاتٍ على مستوى الرّسالة" (مجهولة المصدر)، التي تُحوَّل بعد ذلك إلى صيغة لسانيّة. ومن وجهة نظر فلسفيّة تقليديّة تُعلن عن نفسها بأنّها ديكارتيّة، نجد فرضية "لغة الفكر" (LoT) لفودر Fodor 1975، التي تفترض بنية شبه لسانيّة (أو منطقيّة) للفكر عند البشر والحيوانات، مع تأكيدها الحاسم على أنّ محتوى اللغة مُستمدّ من محتوى الفكر (فودر 2002)، من غير افتراض أنّ النّظام الذي يهيكل محتوى الفكر هو النّحو (أي أنّ لغة الفكر ليست اللّغة الطّبيعيّة). ومن اللّافت أنّ نُسخًا من هذه الرّؤية الدّيكارتيّة لا تزال قائمة في جميع الصّيغ الحاليّة للنّسبيّة اللّغويّة، كما أشار إلى ذلك وولف (Wolff) وهولمز Holmes2010. (الباحثون).

غير النّاضجة لغويًّا أو المصابة باضطرابات لغويّة، مثل الأطفال الرّضّع والأشخاص الذين يعانون من الحُبسة، أو لدى الكائنات غير النّاطقة، بعدّها دليلًا على استقلاليّة هذه التّمثيلات التّصوريّة عن اللّغة، كما أوضح بلوم Bloom وكيل Keil 2001. النّقطة التي نؤكّدها هنا هي أنّه، وفق جميع هذه الرّؤى، يمكن القول إنّ الفكر يُعبَّر عنه في اللّغة بكفاية فريدة، لكنّه مع ذلك ذو أصل مستقلّ. ولذلك، فإنّ عنايتنا هنا بالفكر الذي يُعبَّر عنه في اللغة بكفاية فريدة لا يعني بالضّرورة افتراض أنّه ذو طبيعة لسانيّة أصيلة.

نحن لا نشكّك، على نحو جوهريّ، في وجود قدراتٍ على التّفكير قبل ظهور اللّغة عند البشر، وإن كان موقفنا يستلزم أنّ هذه القدرات تختلف جزئيًّا في طبيعتها. ومع ذلك، فإنّه من المهمّ توضيح الصّعوبات المفاهيميّة والتّجريبيّة التي تكتنف تصوير هذه القدرات بوصفها "تفكيرًا من غير لغة".

مهما كان ما يفكر فيه الأطفال الرُّضّع، فإنّهم لا يفكّرون بعدُ مثل الكبار، أو حتّى مثل الأطفال في سنّ المدرسة، أو الأطفال في مرحلة ما قبل المدرسة، أو الأطفال الصغار. يتطوّر التّفكير مع مرور الوقت، إذ يصل إلى مراحل معرفيّة محدّدة عند بلوغها، مثل تلك التي تشمل التّصنيف والكلمات والنّحو والإشارة والحساب والذّاكرة العرَضيّة والدّلاليّة والكلام والأدلّة والتّفكير العقليّ. لكن مع تطوّر التّفكير، تتطوّر أيضًا اللّغة، مع وجود أدلّة على أنّ الأخيرة تؤثّر تأثيرًا منهجيًّا في الأولى وتُشكّل فضاء الفكر والتّفاعل الاجتماعيّ منذ البدايات المبكّرة. (أستينغتون وجينكينز، 1999؛ دومينغيز وآخرون، 2016؛ دورلمان وآخرون، 2019؛ فري وآخرون، 2010؛ نوفاك وواكسمن، 2019؛ شرويدر وآخرون، 2021؛ تاجير-فلوسبرغ وجوزيف، 2005(4)). إذا كانت اللّغة

(4) اللّغة واحدة من أقدم المُحفّزات التي يعالجها الدّماغ في المرحلة الجنينيّة، وهي موضوع اهتمام تفضيليّ بالفعل مقارنةً بالأصوات غير الكلامية عند الولادة مقارنةً بالأصوات غير اللّغويّة (فولومانوس وويركر، 2007). ومنذ لحظة الميلاد، تُشكّل اللّغة فضاء التّفاعل الاجتماعيّ، كما يتّضح في بدايات التّلفّظ ==

والتّفكير يتطوّران معًا، فليس أحدهما بأسبق من الآخر. في هذه العمليّة التّزامنيّة، قد يتأخّر الكلام -الذي يعدّ بلا ريب أكثر الأنشطة الحركيّة المعقّدة التي يكتسبها البشر اكتسابًا طبيعيًّا-. ولكنّ نضج الكلام يعدّ مقياسًا اعتباطيًّا لعدّ الشّخصِ شفهيًّا. في هذا النّسيج المُعقّد من القدرات المعرفيّة المتشابكة، قد يستحيل تمييز "التّفكير قبل الكلام". على سبيل المثال، هناك أدلّة تشير إلى أنّ المباني الدّلاليّة التي تميّز الجمل تميّز أيضًا تمثيلات الأحداث لدى الأطفال الرّضّع قبل أن يصبحوا قادرين على الإنتاج اللّفظي (واجنر ولاكوستا، 2009). لكنّ هذه الأدلّة تتماشى مع الرّؤية التي تقول إنّ نوعنا البشريّ يطوّر نظامًا واحدًا للمعنى، يتضمّن المعنى التّصوّري والإشارة، ويُعدَّل لسانيًّا من البداية، ويُحوّل في النّهاية إلى كلام.

يبدو أن تعلُّم الكلمات عزَّز لدى كثيرين الرّؤية القائلة إنّ التفكير لا بدّ من أن يسبق اللّغة. فكيف للرّضيع أن يتعلّم كلمة "حذاء" في الإنجليزيّة ما لم يكن لديه مسبقًا مفهوم الحذاء ليربط الكلمة به(5)؟ لا شكّ في أنّ كلمات مثل "حذاء" يجب أن يستعملها البالغون في حضور مُدرَك لمراجعها الحسّيّة بطريقة ما

== الأولى والتّفاعلات الاجتماعيّة لدى حديثي الولادة (دومينغيز وآخرون، 2016). وبحلول الشّهر الرّابع، يحرز الأطفال الرّضّع تقدّمًا ملحوظًا في فهم معاني الكلمات (بيرغيلسون وسوينغلي، 2012؛ بيرغيلسون وآسلين، 2017)، في حين تظهر لديهم قدرة بدائيّة على إدراك الطّابع الإشاريّ للتّواصل اللّغويّ منذ الشّهر السّادس (فولومانوس وآخرون، 2014؛ مارنو وآخرون، 2015). فضلًا عن ذلك، فإنّ اللّغة تتجلّى في أدمغة الرّضّع غير القادرين بعدُ على الإنتاج اللّغويّ -بمن فيهم حديثو الولادة- بطريقة مماثلة لما هي عليه لدى البالغين، سواء من حيث الأنشطة الوظيفيّة استجابةً للمحفّزات اللّغوية (ديهان-لامبيرتز وآخرون، 2006)، أم في البنية التّشريحيّة للمناطق الدماغيّة المرتبطة باللّغة (دوبوا وآخرون، 2010)، أو -وهو الأمر الأكثر إدهاشًا- في أنماط التّرابط الوظيفيّ التي تكشف عن شبكة لغويّة نشطة حتّى في حالة السّكون، عندما لا يكون هناك استعمال صريح للّغة (كوساك وآخرون، 2018). (الباحثون).

(5) كما عبّر بلوم وكايل (2001، ص. 351) عن هذا الرّأي ذي النّزعة الدّيكارتيّة المتطرّفة: "حتّى الأطفال يدركون الأنواع والأفراد الذين يملؤون عالمهم، إلّا أنّهم لا يعرفون أسماءهم فقط". وبهذا المعنى، تعدّ اللّغة نظامًا من العلامات التي تتّصل بنظامٍ فكريّ قائم سلفًا. انظر: جليتمان وآخرين (2005) لرؤية ديكارتيّة أقلّ تطرّفًا بشأن اكتساب اللّغة. (البّاحثون).

وفي مرحلة ما، حتّى يتمكّن الأطفال من تعلُّم معناها واستعمالها. يشير هذا إلى أنَّ الحذاء، بوصفه فئة إدراكيّة، يجب أن يكون متاحًا للرّضيع قبل اكتساب الكلمة. تُسمّى هذه الفئات الإدراكيّة، التي تُستثار سببيًّا بحضور المُثير الحسّيّ المناسب، بالمدركات الحسّيّة percepts في ما يأتي. وتتضمّن هذه المدركات نوعًا من التّجريد يتجاوز الفروق الإدراكيّة الدنيا، غير أنّ وجودها لا يستلزم أن يكون الحذاء متاحًا قبل اللّسان بوصفه مفهومًا ناضجًا من النّوع الذي ترمّز إليه الكلمات المعجميّة مثل "حذاء". تختلف المفاهيم بهذا المعنى عن المدركات الحسّيّة بكونها عبر-حسّيّة؛ إذ لا تعتمد على الحضور الفيزيائيّ للمُثير. فهي تُسترجَع داخليًّا من الذّاكرة الدّلاليّة البعيدة المدى، وتكون متاحة في أيّ لحظة من حياتنا الذّهنيّة. وفي الإنسان، ترتبط هذه المفاهيم من هذا النّوع بمدخل معجميّ، وعلى خلاف المدركات الحسّيّة، قد تمثّل إنجازًا معرفيًّا يتوقّف على تطوّر الكلمات، أي على معجَمة lexicalization الفئات الإدراكيّة ما قبل اللّسانيّة في صورة كلمات. (هينزن وشيهان، 2015).

ومع ذلك، نحن لا نتبنّى موقفًا بشأن المفاهيم ما قبل اللّغويّة فيما سيأتي؛ لأنّ حجّتنا تقتصر على نوع التّفكير الذي يُعبّر عنه في اللّغة، وعلى نحوٍ أكثرَ تحديدًا في الملفوظات: ليس عبرَ الكلمات ذات المعاني المعجميّة، ولكن عبر العلاقات المنطقيّة المنظّمة نحويًّا بين هذه الكلمات. وعلى هذا، فإنّ حجّتنا، من حيث المبدأ، لا تعارض استقلال المفاهيم عن اللغة، ما دامت هذه المفاهيم تُعبَّر عنها بألفاظ معجمية وتظلّ متميّزة عن المُدرَكات.

الأساس التّجريبيّ للحجّة التي ستُعرض لاحقًا يتمثّل في حقيقةٍ غير مثارٍ حولها خلافٌ كبير، وهي وجودُ خصائصَ للتّعبيرات اللّسانيّة تُدرَك عبر مفاهيمَ نحويّةٍ مثل الشّخص أو الزّمن(6). ولمّا كانت هذه الخصائص تحدّد جوانبَ من

(6) نلاحظ أنّنا، في الفقرة السابقة وما يليها، نعتمد كتابة المصطلحات النّحويّة التّقنيّة بحروف كبيرة في بدايتها، تحقيقًا للوضوح وتجنّبًا للالتباس، مثل التّمييز بين المفهوم النّحويّ لكلمة Person المطابق لها شكلًا، أو بين المفهوم غير النّحويّ PERSON الذي تعبّر عنه كلمة person. (الباحثون).

تنظيم الأفكار المعبَّر عنها، فإنّ وجودها يُلقي بظلالٍ من الشّكّ على فرضيّة استقلال نمط التّفكير المعنيّ عن اللّغة. ويرجع ذلك إلى أنّ هذه الخصائص ذات طبيعةٍ نحويّة، أي أنّها تُدرك بمفاهيمَ نحويّةٍ لا نظيرَ لها -حتّى اللّحظة-خارج النّظام النّحويّ. وعليه، نمضي الآن إلى توضيح مفهوم "المصطلح النّحويّ"، قبل أن نعرض حجّتنا ذاتها في القسم الثالث، ونناقش سُبُل التّهرّب منها في القسم الرّابع، ثم نختم البحث في القسم الخامس.

2. ماذا يعني المفهوم النّحويّ؟

يتناول المفهومُ النّحويّ خصائص التّعبيرات اللّسانية التي ليست، على سبيل المثال، ذات طابع دلاليّ أو معجميّ أو مادّيّ أو صوتيّ أو نفسيّ. يهدف هذا إلى تعريف الفكرة العامّة للنّحويّ على نحوٍ سلبيّ وتبايُنيّ، ولكن قد يكون من الصّعب تجنّب هذا، ومن غير المرجّح أن يكون الأمر أسهل من تعريف مفاهيم مثل "المادّيّ" أو "النّفسيّ". من الواضح بما فيه الكفاية أنّ الجاذبيّة، على سبيل المثال، هي مفهوم مادّيّ، في حين "الشّخص" أو "الزّمن" ليسا كذلك، وما يجعل المفهومين الأخيرين نحويّين يمكن تحديده أيضًا عبر مصطلحات أكثر إيجابيّة.

ابتداءً من مفهوم الشّخص – Person، فإنّ كلَّ مركّب اسميّ (NP) في الكلام المتّصل العاديّ في اللّغة الإنجليزيّة يُميَّز إمّا بالشّخص الأوّل وإمّا بالشّخص الثّاني، وفي حال عدم وجود ذلك، يُعدّ الشّخصَ الثّالثَ (أو غير مميّز للشّخص)؛ ومن باب التيسير، سنستعمل الرموز: "P1 وP2 وP3" فيما يلي. من الواضح أيضًا أنّ هذه التّمييزات في الشّخص تُرمَّز عن طريق الصّرف النّحويّ للتّعابير اللغويّة (اختيارات الضمائر، وتصريف الأفعال، والمطابقة)، ولا تنبع من الاستدلالات الدّلاليّة حول ما إذا كان يشير إلى شخص ما. بمعنى أنّ الشّخص لا يرتبط مباشرةً بالمشار إليه بوصفه شخصًا بالمعنى الدّلاليّ المتمثّل في الوقوع تحت المفهوم العامّ "الشّخص"، الذي يعبّر عنه الاسم العامّ – "person" (وهو

مفهوم غير نحويّ). وبما يتماشى مع هذا، يمكن الإشارة إلى الشّخص نفسه (على سبيل المثال: أنا) في جميع الأشخاص، سواء في: P1 (على سبيل المثال: "كانت لديّ فكرة")، أو: P2 (على سبيل المثال: "أيّها الأحمق!" إذا خاطبتُ نفسي في حديث داخلي أو إذا خاطبني شخص آخر)، أو: P3 (على سبيل المثال: "هذا الكاتب لديه وجهة نظر" التي قد تقولها أنت أو أقولها أنا عند الإشارة إلى نفسي).

إنّ الإشارة الدّلاليّة -بوصفها عمليّة اختيار مرجع في العالم الخارجيّ، سواء أكان كائنًا أم شخصًا- لا تصلح أساسًا لتحليل التّصنيف النّحويّ للشّخص، إذ لا يقوم هذا التّصنيف على المرجعيّة الدّلاليّة، بل يُحدِّد أنماطًا مخصوصة في الإشارة إلى الكيانات المختلفة، وهي أنماطٌ خاضعة لقواعد نحوية محدَّدة. وهذه الأنماط النّحويّة للإحالة متاحة دومًا، بمعزل عن السّمات الدّلاليّة أو الأنطولوجيّة للمرجع، إذ يمكن، من منظور نحويّ صرف، مخاطبة كيان غير بشريّ بوصفه مخاطَبًا بصيغة الشّخص الثّاني (P2) كما في قولنا: "أيّتها الأرض، لقد دمّرناكِ"؛ فإسناد صفة المخاطَب إلى "الأرض" يستلزم، من وجهة نظر المتكلّم، أن تُفهم بوصفها كيانًا ذا خصائص شخصيّة. وعلى العكس، لا يفرض كون المرجع بشريًّا أيّ قيود على تصنيفه ضمن نظام الشّخص النّحويّ، كما بيّنا في الأمثلة السّابقة. ويدلّ هذا على علاقة غير متكافئة بين مفهوم "الشّخص" في البنية النّحويّة ومفهوم "الشّخص" في المستوى الدّلاليّ؛ إذ إنّ التّصنيف النّحويّ للشّخص يمتلك قدرة قهريّة على إضفاء دلالة شخصيّة على المرجع، في حين تعجز التّصنيفات الدّلاليّة عن فرض أيّ تأثير على النّظام النّحويّ.

إنّ الشّخص (Person) مفهوم نحويّ أيضًا من حيث إنّه لا يستند إلى تأويلات تُستمدّ من المعجم أو حتّى من البنية الصّرفيّة ذاتها. وعليه، فإنّ تأويل السّمات التي ترمز إلى الشّخص على المستوى الصّرفيّ يتوقّف دائمًا على البنية النّحويّة التي ترد فيها؛ أي أنّه يتحدّد عبر التّكوين النّحويّ أو العمليّات التّوليديّة، وليس عبر السّمات ذاتها (هينزن ومارتن، 2021؛ سيغوردسون،

2004)([7]). وفي هذا السّياق أيضًا، يتفاعل الشّخص النّحويّ مع المبادئ النّحويّة الأساسيّة مثل الإعراب التّركيبيّ (structural Case) والتّطابق (Agreement) في مختلف اللّغات([8])؛ ما يدلّ على أنّ الشّخص يمثّل جزءًا جوهريًّا من النّظام النّحويّ للّغة البشريّة. كذلك، فإنّ الشّخص بوصفه فئة نحويّة ليس مطابقًا للضّمائر (مثل "أنا" أو "لي" في الإنجليزيّة)، إذ إنّ الضّمائر تمثّل نوعًا خاصًّا من العناصر المعجميّة التي تميّز بين ضمائر الأشخاص، وهي مجرّد إحدى الطّرق (التي قد تختلف من لغة إلى أخرى) التي يظهر بها الشّخص النّحويّ على المستوى الصّرفيّ-المعجميّ أو الصّرفي-النّحويّ في البنية السّطحيّة للّغة.

لننظر الآن في الزّمن النّحويّ Tense. في الإنجليزية، يُمَيَّز الزّمنُ على المستوى الصّرفيّ إمّا بصيغة "الماضي" وإمّا بصيغة "غير الماضي"، إذ يمكن أن تشير صيغة "غير الماضي" إلى الحاضر، كما في:

I am awake أنا مستيقظ، أو إلى المستقبل، كما في Are you attending tonight's dinner? هل ستحضر العشاء الليلة؟ Will you come?هل ستأتي؟ The train arrives lateالقطار يصل متأخرًا I am going to Spainأنا ذاهب إلى إسبانيا غدًا؛ أي أنّ الإشارة إلى المستقبل في الإنجليزيّة ليست مفهوماً يُعبَّر

(7) على سبيل المثال، عندما تظهر صيغة المتكلّم المفرد (P1) ضمن نطاق أداة تعريف أو أداة كمّيّة (مثل: "كلّ شخص لديه أنا" [Everyone has an I]، "أنا اليوم لست أنا الحقيقيّ" [Today's me is not the real me]، "أنا وحدي أعتقد أنّني ذكيّ" [Only I think I am smart])، أو جُزءًا من مُركّب (مثل: "جيل الأنا" [the Me-generation]، "حركة #أنا_أيضًا" [the Me-too movement])، أو عند وقوعها في سياق مقتبَس، أو داخل جملة فرعيّة يكون مرجعها مقيدًا بفاعل الجملة الرّئيسة (كما هو الحال في "الإشاريّات المتحوّلة في الفارسيّة؛ انظر: سيغوردسون، 2004)، فإنّها لا تُفسَّر بنفس الطّريقة التي تُفسَّر بها عندما ترد في موقع مستقلّ مرجعيًّا داخل الجملة الرّئيسة. (الباحثون).

(8) انظر، على سبيل المثال، إلى "قيد حالة الشّخص" (Person Case Constraint) كما ورد عند أدجر وهاربور (2007) وبونيه (1991)، أو إلى علاقة صيغة الشّخص بأنماط "الإرغائية المنقسمة" (Split Ergativity) كما تناولها دي لانسي (1981)، أو إلى الفروقات في التّعقيد النّحويّ والصّرفيّ في الضّمائر، كما بحثها كارديناليتي وستارك (1999)، وديشين وويلتشكو (2002)، ومارتن وهينزن (2014). (الباحثون).

عنه بزمن نحويّ مخصّص (كما هو الحال في اللّغات الرّومانسيّة[9])، بل عن طريق الأفعال المساعدة أو تراكيب أفعال خفيفة خاصّة مثل: will أو going to أو الظّروف الزّمنيّة. غير أنّ "الماضي" و"غير الماضي" بصيغتيهما الصّرفيّتين لا يحملان بالضّرورة معنييهما الظّاهرين، فعلى سبيل المثال في If I had a thought, I would tell you.(لو كانت لديّ فكرة، لأخبرتك)، فإنّ العلامة الصّرفيّة التي تشير إلى الزّمن الماضي في had لا تدلّ على "الماضي" بالمعنى الذي تحمله في I then had a thought(في ذلك الوقت كانت لديّ فكرة). وبالمثل، فإنّ الشكل الماضي من الفعل النّاقص will، أي would، يمكن أن يشير إلى زمن سابق أو لاحق لنقطة الكلام، كما في العبارة: He said he would tell me (قال إنّه سيخبرني). كما أنّ زمن المضارع في have في العبارة: If I have a thought, I'll tell you (إذا كانت لديّ فكرة، فسأخبرك) لا يعني الحاضر بالضّرورة، ففي الزمن الحاضر التّاريخيّ أو الكلام التّقريريّ قد يشير المضارع إلى حدث وقع في الماضي بالنسبة إلى لحظة الكلام. وفضلًا عن ذلك، يمكن أن يشير الفعل غير المحدَّد صرفيًّا (أي المصدر) إلى الماضي أو المستقبل، كما هو الحال عند وروده في سياق الأفعال الدالّة على القصد، مثل: He wanted/wants to be known as an artist (أراد/ يريد أن يُعرَف فنّانًا).

تماشيًا مع هذه الفجوات المنتشرة بين الزّمن النّحويّ والزّمن العاديّ، لا يمكن لكلمة "الحاضر" عند إضافتها إلى الجملة أن تعبّر أبدًا عما يعبّر عنه الزّمن غير الماضي. وهكذا، فإنّ عبارة "أن يكون معروفًا فنّانًا في الحاضر" لا يمكن أن تُستعمل بمفردها للتّعبير عن حقيقة حاضرة، بل يجب إضافة زمن محدود (كما في "أنا معروف فنّانًا" أو "لقد أراد أن يُعْرَفَ فنّانًا في الحاضر"). وهذا يدلّ على أنّ

(9) حتّى في اللّغات الرّومانسيّة، اقترح بعض الباحثين أنّ صيغة المستقبل، مثل الفعل الإسبانيّ comprarás ("سوف تشتري")، يمكن تحليلها تاريخيًّا على أنّها ناتجة عن تطوّر نحويّ (grammaticalization) لصيغة المصدر من الفعل مضافًا إليها صيغة متصرّفة من الفعل المساعد (HAVE) (انظر: لويس وكايزر، 2016). كما جرى الحجاج بأنّ المستقبل، على المستوى الكونيّ، هو تصنيف موديليّ (modal category) وليس تصنيفًا زمانيًّا (tense category) (انظر: ماثيوسن، 2006؛ بوشناك، 2019). (الباحثون).

الظّرف الزّمنيّ لا يؤدّي الوظيفة نفسها. يُلاحظ، زد على ذلك أنّ العبارة: "لقد أراد أن يُعْرَفَ فنّانًا في الحاضر" يتغيّر معناها عند إضافة الظّرف "في الحاضر" مقارنةً بالعبارة من دونه، بدلًا من أن تعبّر عن المعنى نفسه الذي يفيده الزّمن المحدود. وهذا يوضّح الفكرة العامة التي نطرحها: المفاهيم النّحويّة ليست مفاهيم معجميّة أو دلاليّة. فالتّعبير "في الحاضر" هو تحديد معجميّ للوقت، ويؤدّي وظيفة تختلف عن وظيفة الزّمن النّحويّ. (انظر هينزن، 2015 بشأن الإشارة الزّمنيّة).

تمتدّ أنماطُ التّباين اللّغويّ العابر للّغات إلى هذا المنحى الفكريّ. ففي بعض اللّغات، يُميَّز نحويًّا بين المستقبل وغير المستقبل بدلًا من الماضي وغير الماضي، كما هو الحال في لغة مونا (الإندونيسيّة)، إذ يُعَدّ غير المستقبل (الذي يشمل الحاضر والماضي) الصّيغة غير الموسومة، في حين يوسم المستقبل بإدخال اللاصقة Infix (um) أو بتغيير في صيغة سابقة التلاؤم مع الفاعل (انظر: فان دن بيرغ، 1989). غير أنّه من المهم الإشارة إلى أنّ صيغة المستقبل لا تُستعمل فقط للإشارة إلى الأحداث المستقبليّة، بل تظهر أيضًا في الجمل المنفيّة والعديد من الجمل الشّرطيّة؛ ما يوضّح أنّ المستقبل النّحويّ لا يحمل معنى كلمة "المستقبل" في هذه اللّغات، تمامًا كما أنّ الماضي في الإنجليزيّة لا يعني بالضّرورة "الماضي". وبدلًا من ذلك، يبدو أنّ هذه الصّيغة تتعلّق على المستوى المفهوميّ بفكرة اللّاواقعيّة (irrealis)، وهي فكرة لا ترتبط بمفهوم الزّمن الفيزيائيّ إطلاقًا. فالزّمن، على الأرجح، كان موجودًا قبل ظهور البشر (ما لم تؤخذ النّظريّات الأكثر ذاتيّة حول أصل الزّمن بعين الاهتمام)، في حين أنّ الزّمن النّحويّ لم يكن موجودًا بالتّأكيد. فالزّمن عنصر أساسيّ في الموسيقى والإيقاع، لكنّ الزّمن النّحوي لا وجود له فيهما.

لاحظ أيضًا أنّ بين الزّمن النّحويّ والشّخص النّحويّ صلةً (وهو ما سنعود إليه في القسم 3): فكما أنّ "الشّخص" يمثّل وسيلة نحويّة خاصّة للإشارة إلى الأشياء، كما أشرنا سابقًا، فإنّ "الزمن" يمثّل وسيلة نحويّة خاصّة

للإشارة إلى الأحداث. وكلتا الطّريقتين للإشارة تحمل طابعًا إشاريًّا (deictic)، إذ تعكسان الارتباط النّحويّ بالمقام. ومثل ما يعتمد "الشّخص" في تأويله على البنية النّحويّة (انظر الحاشية 10)، ولا يستمدّ معناه من معجم الكلمات مباشرة (سيغوردسون، 2004)، فإنّ الزّمن النّحويّ يعتمد أيضًا على التّراكيب النّحويّة في تأويله، بدلًا من أن يكون معناه محدّدًا معجميًّا. على سبيل المثال، كما أشرنا سابقًا، في الجملة الشّرطيّة "لو كانت لديّ فكرة"، إذ يظهر الماضي النّحويّ جزءًا من جملة ظرفيّة مُلْحَقَة ضمن تركيب نحويّ يحتويها، فإنّه لا يؤدّي وظيفة تحديد الحدث في زمن سابق لِلَحظة التّلفّظ كما هي الحال في الجملة المستقلّة. وبالمثل، في جملة "قالت إنّها كانت حاملًا" "She said she was pregnant"، فإنّ صيغة الماضي في "كانت" لا تحمل المعنى ذاته الذي تحمله في جملة "قالت: كنتُ حاملًا" "She said: 'I was pregnant" إذ تُستخدم الصيغة داخل اقتباس مباشر وتحيل إلى زمن أسبق من زمن الحديث الذي يُعبّر عنه بالفعل "said" أمّا في الجملة الأولى، التي ترد فيها صيغة الماضي ضمن خطاب منقول غير مباشر، فلا يلزم أن يكون هناك أي ترتيب زمنيّ سابق.

كما هي الحال مع الشّخص، فإنّ حقيقة أنّ الحدث في الماضي ليست سببًا للإشارة إليه نحويًّا باستعمال الزّمن الماضي (كما في الحاضر التّاريخيّ في اللّغة الإنجليزيّة، أو "الواقعيّ" في لغة مونا)، والإشارة إلى حدث لم يحدث بعد لا تتطلّب بالضّرورة زمن المستقبل. ومثل الشخص أيضًا، يتفاعل الزمن مع مقولات أو مبادئ نحويّة لا جدال فيها، مثل: (الجهة) Aspect، و(التّحكّم) Control، والحالة الإعرابيّة (Case)، (مثل ما أشار إليه لاندو، 2008؛ وسفينونيوس، 2002؛ ويلتشكو، 2003؛ وزاجونا، 1999). بالمقابل، لا ينطبق أيّ من ذلك على أيّ من مفاهيمنا الزّمنيّة غير النّحويّة، مثل المفهوم المعجميّ الذي يعبّر عنه كلمة "المستقبل". عبر استرجاع هذا المفهوم، يمكننا التّفكير في المستقبل، مثل أنّ المستقبل مفتوح، ولكنّ المفهوم "المستقبل" الذي يظهر في مثل هذا التّفكير ليس مفهومًا نحويًّا؛ فهو لا يتفاعل مع المبادئ النّحويّة المستقلّة؛

ويمكن الإشارة إلى المستقبل باستعمال (الماضي غير المحدّد) من غير استعمال هذا المفهوم أو كلمة "المستقبل" (مثلًا في الجملة "سأتّصل بك"، إذ "سـ" تعبّر عن زمن المضارع)، تمامًا كما يمكن الإشارة إلى ما يحدث الآن من غير استعمال كلمة "الآن" (مثلًا في الجملة "أراه").

بينما وضّحنا مفهومين نحويّين فقط آنفًا، فإنّ هذه المفاهيم في الواقع كثيرة ومتعدّدة. ومن أمثلة ذلك الجنسُ (Gender)، والجهة (Aspect)، والأدوار المِحْوريّة (Thematic Roles) رغم أنّه، على عكس الشّخص (Person) والزّمن (Tense)، لا يعدّ أيّ منها إشارة (أي لا يتطلّب مرجعًا زمنيًّا أو مكانيًّا دقيقًا). حتّى بعض الأسس الأساسيّة للّغة مثل مقولة الاسم (N) ومقولة الفعل (V) تعدّ مفاهيم نحويّة. عبر العديد من الأطر النّظريّة، أصبح من المعترف به الآن أنّ الفكرة السّاذجة التي تميّز بين الاسم والفعل تمييزًا دلاليًّا بين الموضوع (object) والحدث (event) هي فكرة مخفقة (انظر مثلًا: لانجاكر، 1999؛ بيكر، 2003؛ كروجر، 2005؛ كروفت، 2007؛ بيسانغ، 2010؛ هينزن وشيهان، 2015، الفصل 2). ويمكن أن تُبنى حجّتنا المقبلة باستعمال أيّ مفهوم نحويّ، ولكن كما نلاحظ في القسم 4 نرى أنّ الصيغ الإشارية الخاصة التي يشفّ عنها الزمن والشخص لطالما عُدَّتْ بوجه مستقلّ أبعادًا جوهرية محدِّدة للفكر؛ ما يجعلها أهدافًا مناسبةً على نحو خاص في هذا السياق.

3. الحُجَّة

تنطلقُ حُجَّتنا الآن من الافتراض بأنَّ هناك مفاهيم نحويّة من النَّوع والمعنى اللَّذين شُرحا في القسم السّابق. واستنادًا إلى ذلك، نصوغ الحُجَّة الآتية: إذا كانت مفاهيم الزّمن (Tense) والشّخص (Person) مكوِّنات أصيلة في الأفكار التي تُعبّر عنها اللّغة، فإنَّ هذه الأفكار لا يمكن أن تكون غير لغويّة. وعلّة ذلك أنَّ الزّمن والشّخص هما مفهومان نحويّان خالصان، ولا يُعرَف لهما نظير خارجِ النّظام النّحويّ. لذلك، إذا لم يكن الزّمن والشّخص مجرّد عناصر في الجمل التي

تُعبِّر عن الأفكار، بل كانا جزءًا من الأفكار ذاتها، فهذا يعني أنَّ الفكر البشريّ مُشكّل نحويًّا. لاحظ أوّلًا أنّ الحُجَّة تأخذ طابعًا شرطيًّا، فهي لا تجزم بأنَّ مفهومي الزّمن والشّخص موجودان في الفكر البشريّ، بل تطرح ذلك بوصفه مسألة تجريبيّة سنبحثها لاحقًا. ولاحظ ثانيًا أنّ الحُجَّة ليست مطلقة، بل هي مقيَّدة بعبارة ("إذا وإلى الحدِّ الذي")؛ ما يعني أنْ ليس كلّ الفكر في حاجة إلى أن يكون لسانيًّا (على وجه التّحديد، نذكّر بأنّنا لا نتّخذ موقفًا بشأن ما إذا كانت المفاهيم العامّة التي تعبّر عنها الكلمات المعجميّة ما قبل لسانيّة أم لا، ونفترض أنّ المدركات، وفق التّعريف الوارد أعلاه، مستقلّة عن اللّغة جزئيًّا على الأقلّ).

ننتقل الآن إلى الجزء التّجريبيّ من حجّتنا. عند النّظر في ما إذا كان كلٌّ من الشّخص والزّمن جوهريًّا في الأفكار المعبَّر عنها في اللغة، فإنّنا نحيل إلى أفكار عاديّة تمامًا، مثل الجملة: "كنتُ في حاجة إلى حذاء"، بدلًا من الرّجوع إلى أفكار اللّسانيّين عند تأمّلهم في الجمل. هذه الجملة، "كنتُ في حاجة إلى حذاء"، تتضمّن إشارة إلى الشّخص والزّمن في بنيتها النّحويّة. والسّؤال التّجريبيّ هنا هو: هل الفكرة التي تعبّر عنها الجملة تشتمل أيضًا على هذين العنصرين؟ يبدو من اللّافت أنّ الجميع يكاد يتّفقون على أنّ مفهومًا غير نحويّ مثل "حذاء" يمكن أن يكون جزءًا من أفكارنا ويتجلّى فيها، ولكن قد لا يكون الأمر كذلك في المفاهيم النّحويّة مثل الشّخص والزّمن، (وهي بادية في التّعبير عن الفكرة المذكورة آنفًا بوضوح لا يقلّ عن وضوح كلمة "حذاء" فيها).

ما الذي قد يبّرر هذا التّفاوت؟ أوّل سبب محتمل يرتبط بالفكر التّقليديّ الذي، عند النّظر في أنّ الأفكار مكوّنة من مفاهيم، تتعلّق أمثلته النّموذجيّة بمفاهيم جوهريّة مثل (حذاء) التي ترتبط بتصوّرات حسّيّة. في المقابل، فإنّ الزّمن كما يظهر في رابط الكينونة (is) يكون أو في الفعل المساعد (will) سوف، أو في الصّيغة غير الموسومة P3 للغائب في المستقبل، لا يقابل أيّ شيء يمكن إدراكه حسّيًّا أو يحمل مضمونًا معجميًّا جوهريًّا، لذا قد لا يبدو مثالًا صالحًا على

المفاهيم التي تشكّل مكوّنات للأفكار. ومع ذلك، من الواضح أنّ ما يحدّد هويّة الفكرة ليس مجرّد المفاهيم المعجميّة التي تحتويها. على وجه الخصوص، فإنّ الشّخص والزّمن، كما أُشيرَ أعلاه، يشفّران طرائق للإشارة إلى الأشياء أو الأشخاص، أو إلى الأحداث بوصفها تقع في الزّمن (في حين لا تفعل المفاهيم ذلك في حدّ ذاتها). وهذه تبدو من جميع النّواحي على القدر نفسه من الأهمّيّة والتّأسيس للأفكار مثل المفاهيم المعجميّة التي تحتويها. فالأفكار: فزتُ في الانتخابات، فاز هو في الانتخابات، فاز المتحدّث في الانتخابات، فاز ذلك الرجل في الانتخابات، فاز بيتر نويهاوس في الانتخابات، ليست الفكرة ذاتها، حتّى في السّياقات التي يشير فيها الفاعلون النّحويّة في هذه الجمل الخمس إلى الفرد نفسه من النّاحية الدّلاليّة.

ما إن نسلّم بهذا، فإنّ ذلك يقدّم دليلًا على أنّ الزّمن والشّخص يشتركان في تكوين الفكر بقدر ما تفعل المفاهيم المعجميّة مثل "الحذاء"، ومن ثمّ فإنّ البنية النّحويّة تُسهم في تشكيل الفكر. ومع ذلك، فإنّ "الحذاء" -على خلاف الزّمن والشخص- يمكن، على نحوٍ مفترض على الأقلّ أن يسبق تطوّر كلمة "حذاء" في التّطوّر كما سبقت الإشارة. أمّا الزمن والشّخص فلا يمكن أن يسبقا اللّغة؛ لأنّهما مفهومان نحويّان، فالزّمن ليس مفهومًا يمكن اكتسابه من ربط الصّرف الإنجليزيّ بمفهوم غير لغويّ قائم سابقًا؛ لأنّ الزّمن هو مفهوم نحويّ.

السبب الثاني وهو أكثر إشكاليّة للاعتقاد بأنّ الشّخص والزّمن لا يمكن أن يكونا جزءًا من الفكر، هو أنّه إذا كان شيء ما عنصرًا في الفكر، فيجب أن يكون واعيًا، وربّما هناك معنى يمكن عبْرَه القولُ إنّ الشّخص والزّمن ليسا واعيين، أو سيكونان كذلك فقط إذا جرى تسميتهما بمفهوم معجميّ مثل "الشّخص" و"الزّمن" كما يستعملها اللّسانيّون في أثناء تفكيرهم النّشط في الشّخص والزّمن. ومع ذلك، عندما أشير إلى نفسي على أنّي "المتحدّث" بدلًا من

"أنا"، من المفترض أنّني واعٍ بهذا، وأيضًا بالاختلاف في المرجعيّة المتضمّنة. ومع ذلك، من الواضح أنّ المفهوم النّحويّ للشّخص، خاصّة إذا لم أكن لسانيًّا، لن يُسمّى عادة في حياتي الذّهنيّة الواعية. ومع ذلك، هذا ليس هدفنا. حجّتنا تتطلّب فقط أن يتطلّب وصف فكريّ لتفكيري مفاهيمَ نحويّةً. ولا تتطلّب أن يكون المتحدّثون العاديّون قادرين على استحضار العناصر المكوّنة في الفكر الذي يعبّرون عنه في جملهم. إنّ المسألة تشبه ما يجري في تحليل التّمثيلات الذّهنيّة التي تظهر في معالجتنا البصريّة للمشاهد بحسب النّظرية النّفسيّة المعاصرة: إذ إنّ النّظريّة هي التي تحدّد هذه التّمثيلات، وليس النّاس العاديّين.

السّبب الثّالث الأكثر جدّيّة في الاعتقاد بأنّ الزّمن والشّخص لا يمكن أن يظهرا في الأفكار هو أنّ ما يجب أن يكون موجودًا بالفعل في أفكار الأشخاص غير اللّسانيّين العاديّين ليس الزّمن أو الشخص، بل بعض المكافِئات غير النّحويّة (مثل المعاني أو المفاهيم اللّفظيّة) لها. هذا الاعتراض يقبل أنّ الزّمن والشّخص يهمّان الجمل، لكنّ الفكرة هي أنّه عند الانتقال من الجمل إلى الأفكار التي تعبّر عنها، يتوقّف تأثير الزّمن والشّخص بطريقة ما. ربّما يكون من الممكن أن تكون المفاهيم غير النّحويّة مثل الماضي (PAST)، والمستقبل (FUTURE)، أو الذّات (SELF) (التي مرّة أخرى لها هويّة لفظيّة وليست نحويّة فقط) هي التي قد تكون مهمّة بعد هذه النّقطة. لكنّ المشكلة في هذا المنطق هي أنّ المفاهيم النّحويّة تفتقر إلى مكافِئات معجميّة مماثلة لها بموجب تعريفها. لو كانت هذه المكافئات موجودة، لكان بإمكان علماء النّحو التّوقّف عن الحديث عن الزّمن والشّخص وتطوير النّظريّة النّحويّة باستعمال المكافئات غير النّحويّة لهما. وهذا ليس الحال حاليًّا، كما لوحظ أعلاه، فإنّ المفاهيم النّحويّة تبدو غير قابلة للاختزال إلى مفاهيم غير نحويّة حتّى في الحالات البسيطة مثل مفهومي الاسم (Noun) والفعل (Verb). نحن نقرّ بأنّ حجّتنا تستند إلى هذه الحالة الحاليّة في العلم: فهي مبنيّة على الأدلّة التّجريبيّة الموجودة التي تؤكّد أنّ المفاهيم النّحويّة موجودة ومطلوبة لوصف الجمل، وليس على الحجّة الماورائيّة التي تفترض ضرورة وجود هذه المفاهيم.

إذن، تكمن المشكلة في هذا الاعتراض المضادّ الثّالث في أنّه يحدث قطيعة بين المجال النّحويّ (أي "الجمل") والمجال غير النّحويّ ("الفكر") على أساس وجود مكافِئات غير نحويّة، وهذه، بحكم التّعريف، غير موجودة. ومع ذلك، يمكن دفع هذا الاعتراض إلى أقصى مدى بحيث يفضي إلى أنّ هذه المكافِئات ليست ضروريّة أصلًا. فربّما لا يكون للزّمن والشّخص أيّ دور على مستوى الفكر، وربّما تكون جميع الأفكار غير متزمّنة. قد يكون هذا الأمر متصوَّرًا من النّاحية الماورائيّة، لكنّه يتناقض تجريبيًّا مع حقيقة أنّه في اللّغة الإنجليزيّة، يجب أن تعبّر أيّ جملة رئيسة غير مختزلة عن زمن صرفيّ تامّ. فهل يمكن أن تكون الأفكار المعبَّر عنها في مثل هذه الجمل خالية من الزّمن بحيث يكون الزّمن مجرّد خاصية للجمل من غير أن يكون مكوِّنًا جوهريًا للأفكار؟ الجواب بالنّفي، إذا ما تبنّينا الافتراض الشّائع بأنّ مضامين الأفكار ذاتيّة لها، (إذ إنّها هي التي تجعل هذه الأفكار على ما هي عليه).

ذلك أنّ هذا الرّأي، في هذه الحالة، سيُفضي إلى القول إنّ هذه المضامين يمكن أن تكون على ما هي عليه، بمعزل عن المفاهيم النّحويّة التي –وفق هذا التّصوّر– لا تتجاوز دورها في معالجة الجمل التي تُعبِّر عنها. غير أنّ المضامين المعنيّة هنا هي عينُها مضامين الجمل التي تُعبِّر عنها: فإنّ ملفوظي: "كنتُ سعيدًا"، يعبِّر تحديدًا عن فكرة مفادها "كنتُ سعيدًا"، لا عن فكرة أخرى مثل "أنا سعيد"، أو "كان هو سعيدًا"، أو "كان الشخص المتحدّث سعيدًا"، أو "كنتُ مطمئنًّا"، أو "شعرتُ بالسّعادة". وبناءً على ذلك، إذا لم تكن المفاهيم النّحويّة حاضرةً في التّفكير، ومع ذلك بقيت المضامين على حالها بالمعنى الذي أشرنا إليه، فإنّ ذلك يستلزم –في نهاية المطاف– وجود نوعٍ من "التّناظرات" أو "المكافِئات" بين العناصر النّحويّة التي تظهر في الجمل، والمفاهيم غير النّحويّة التي يُفترض أنّها تُشكِّل مضمون الفكر، بحيث تظلّ المضامين واحدة. غير أنّ أساس استدلالنا يقوم على الإقرار بوجود المفاهيم النحوية، وهذا يعني أنّ هذه المكافئات غير معروفة الوجود أصلًا. فالنّحو يأخذنا إلى ما هو أبعد من المستوى

المعجميّ المفهوميّ، وفي هذا المستوى تحديدًا تتحدّد مضامين الأفكار كما هي(10).

4. هل القواعد "مضلّلة على نحوٍ منهجيّ"؟

حتّى لو سلّمْنا، وفقًا للقسم السّابق، بأنّ التّناظرات بين المفاهيم النّحويّة وغير النّحويّة غير موجودة، فقد نطرح أنّ هناك انحرافًا منهجيًّا بين اللّغة والفكر، بل قد يُقال إنّ اللّغة ذاتها تفضي إلى أن تكون "مضلّلة على نحوٍ منهجيّ". على سبيل المثال، إذا لم يكن للماضي الصّرفيّ المعنى ذاته الذي يحمله الماضي الزّمنيّ، فهل يمكن تصنيف ذلك دليلًا على وجوب الاستعاضة بلغة منطقيّة رسميّة عن القواعد في التّحليل النّهائيّ لبنية الفكر؟ إنّ هذا الطرح يفتقر حتّى إلى الحافز التّجريبيّ الأوّليّ. فعلى المستوى الظّاهريّ، إنّ أيّ تغيير في خصائص الزّمن أو الشّخص داخل الجملة هو الذي يؤدّي إلى تغيير منهجيّ في الفكر الذي تعبّر عنه. على سبيل المثال، لا تعبّر الجملتان "المتحدّث غير سعيد" و"أنا غير سعيد"، حتّى وإن نُطِقتا من الشّخص ذاته، عن الفكر نفسه. والمثير للاهتمام أنّ اللّغة لا تكون "مضلّلة على نحو منهجيّ"؛ لأنّ الزّمن هو مفهوم نحويّ. فلو كان زمن الفعل في عبارة: "لو كانت لديّ فكرة، لأخبرتك" هو المفهوم الدّلاليّ "الماضي" وليس المفهوم النّحويّ، لأصبحت العبارة مضلّلة، لأنّها لن تعكس الفكر بدقّة.

هل يمكن أن يكون الزّمن مُضلِّلًا، مع ذلك، في حالاتٍ معيّنة من الأفكار، كما في "2 زائد 2 يساوي 4"؟ لمّا كان الزّمن لا ينطبق على الحساب، فقد يبدو الزّمن خارج السّياق أيضًا، بقدر ما يرتبط بمفهوم الوقت. ومع ذلك، فالفكرة المعبَّر عنها ليست هي الحقيقة الرّياضيّة ذاتها، وهذه الأخيرة لا تحدِّد

(10) القول المماثل للمفهوم النّحويّ مثل مفهوم "الاسم" سيكون: تغيير قواعد العبارة عن طريق استبدال اسم بفعل يغيّر الفكر المعبّر عنه، حتّى وإن بقيت المحتويات المعجميّة (الجذور المفهوميّة) كما هي: "ابتسامة جيني" و"جيني تبتسم" لا تعنيان الشّيء نفسه. وبالتّحديد، فإنّ الأولى تفتقر إلى الزّمن وقيمة الصدق. (الباحثون).

الأولى: فالقول "2 زائد 2 كان 4" ليس فكرة مستحيلة، حتّى لو كانت حقيقةً رياضيّةً مستحيلة. إنّ التّفكير في "2 زائد 2 كان 4" ليس هو نفسه التّفكير في "2 زائد 2 يساوي 4"، والأفكار المعنيّة متميّزة تمامًا بالطّريقة التي يدلّ عليها النّحو(11).

ليس النّحو هو الذي قد يكون مضلِّلًا على نحوٍ منهجيّ، بل التّحليلات الفكريّة التي لا تستند إليه. تأمّل محاولة ترجمة تمثيلٍ مثل "أنا سعيد" إلى الصّيغة (الفرد26، الزّمن57(12)) HAPPY، إذ يُفترض أن يكون HAPPY مفهومًا غير لسانيّ، وتشير المؤشِّرات الفرعيّة إلى أفراد وأزمنة محدَّدة، مع غيابٍ تامٍّ لمفهومي الشّخص والزّمن Tense. تحرمنا هذه الصّيغة من الخصائص الإشاريّة لهذين المفهومين، ما ينتج عنه تمثيل أقلّ ارتباطًا بالسّياق، وقد يُعتقد أنّه يضيف دقّةً ويزيل الالتباس عن تمثيلٍ يُصنَّف على أنّه "غير محدّد بما يكفي"، ومن ثمّ غير قادرٍ على التقاط الفكرة المعنيّة (انظر: فودر، 2002؛ غليتمان وبابافراوغو، 2013؛

(11) تنطبق هذه النّقطة على حالات أخرى مرشّحة لأن تكون أفكارًا غير متعلّقة بالزّمن، مثل أشكال الإحالة "الضّعيفة" (بالمعنى غير المرتبط بكائن محدّد)، كما في العبارة "الأُسود لها لِبد".[11] في هذا السّياق، يمكن تأويل الزّمن بقدر ما تشير الجملة إلى النّوع الحاليّ للأسود الموجودة حاليًّا، وليس إلى أسود ما قبل التّاريخ، أو أسود محتملة في المستقبل، أو أسود خضعت لتعديلات وراثيّة، على سبيل المثال. وينطبق المبدأ ذاته على الجمل الرّابطة، مثل "جون بريطانيّ"، إذ لا تكون هذه الجمل غير مقترنة بزمن بصرامة، بل تتضمّن إحالة إلى سياق حاليّ، مثل مرحلة من حياة جون، أو الدّول القوميّة الموجودة حاليًّا، وما إلى ذلك. وأخيرًا، قد تُحذف الأداة الرّابطة في بعض الجمل الرّئيسة المختزلة في الإنجليزيّة غير المعياريّة، مثل: "بخير؟" بدلاً من "هل أنت بخير؟"، ومع ذلك، فإنّ الزمن يظلّ حاضرًا في هذه الحالات أيضًا، إذ يربط الجملة بالضّرورة بسياق فعل الكلام نفسه، لا بزمن محتمل آخر. (الباحثون).

(12) يستعمل بعض الباحثين في التّحليل الصّوريّ والمنطقيّ رموزًا مجرّدة للإشارة إلى الكيانات الشّخصيّة والزّمنيّة، إذ يشير individual26 (الفرد 26) إلى شخص معيّن من غير تحديد هويّته، ويرمز time57 (الزّمن 57) إلى لحظة زمنيّة غير محدّدة في = سياق نحويّ معيّن. تهدف هذه الطّريقة إلى تقديم تمثيل صوريّ للمعنى يكون مستقلًّا عن البنية النّحويّة للّغة، لكنّها تفقد الجملة بعض عناصرها الإشاريّة، مثل العلاقة بين الضّمير "أنا" والمتكلّم الفعليّ في السّياق، أو التّحديد الزّمنيّ الذي يقدّمه الفعل في صيغة المضارع. على سبيل المثال، عند استعمال التّعبير الصّوريّ HAPPY (individual26, time57) بوصفه مكافئا للجملة "أنا سعيد"، فإنّه يُسقط بعض الفروقات النّحويّة المهمّة، مثل كون الفعل في المضارع؛ ما يجعل التّرجمة الصّوريّة أقلّ دقّة من التّعبير الطّبيعيّ في اللّغة. (المترجم).

هينزن، 2015). لكنّ المشكلة تبقى على حالها. حين أقول "أنا سعيد"، فإنّ فكرتي لا تدور حول فردٍ يحمل رقمًا، إذ إنّ ذلك ينطوي على شكلٍ مختلفٍ من الإحالة إلى هذا الفرد، وهو ما يُخلّ ببنية تفكيري. إنّ الفكرة موسومة بالزّمن الحاضر، لكنّ "الحاضر"، بوصفه مفهومًا نحويًّا، لا يعني (الزّمن57)، كما أنّه لا يُشير إلى زمن محدّد. تحديده على أنّه (الزّمن57) لن يجيب في الواقع عن مسألة كونه حاضرًا، ولا عن مسألة كونه الآن. واستبدال (الزّمن57) بـ (الآن) لن يكون كافيًا ولا دقيقًا؛ لأنّ العبارة: "أنا سعيد" لا تعني "أنا سعيد الآن"، إذ إنّ هذه الأخيرة تحمل معنًى تركيبيًّا مختلفًا، إذ تتضمّن (الآن) بوصفها مَحمولا، وتضمّ الفكرة الأولى بوصفها جزءًا مستقلًّا منها. وهذا الجزء مكتملٌ (إذ يمكن أن يكون جملةً قائمةً بذاتها عند التلفّظ به) من غير الحاجة إلى المُلْحق/ الفَضْلة "الآن"، الذي لا يضيف أيّ تحديدٍ لمعنًى يفتقر في ذاته إلى الاكتمال أو الارتكاز الزّمنيّ عند التّلفّظ به (لمزيد من النّقاش، انظر: هينزن، 2015).

وبالمثل، فإنّ استبدال "أنا..." بـ "الفرد 26 هو..." لا يُزيل الغموض الذي قد يعتري قولنا "أنا سعيد". بل على العكس، قد يُبقي هذا الاستبدالُ السّؤالَ مفتوحًا حول ما إذا كان الفرد السّعيد المقصود هو المتكلّم نفسه. في حين يكون الجوابُ بديهيًّا في الملفوظ "أنا سعيد"، فإنّه قد يصبح مستعصيًا على الحلّ في غياب ضمير المتكلّم (1P)، كما هي الحال في حالات فقدان الذّاكرة، فقد ينسى الشّخص اسمه وهويّته (جون بيري، 1993). وقد نوقشت هذه الخاصّيّة طويلًا في الفلسفة والدّلالة تحت مفهوم "الإشاريّة الجوهريّة"، غير أنّ الإشاريّة indexicalityمفهوم أوسع من المصطلح الدّقيق الذي نحتاج إليه هنا. فالفارق ذو الصّلة متّصلٌ تجريبيًّا بوجود صفة الشّخص أو غيابها، وهي، شأنها شأن صفة الزّمن، تؤدّي وظيفتها عبر التّرميز النّحويّ لشكل مخصوص من التّوجّه الإشاريّ deixis (هينتسن ومارتن، 2021). إنّ النّحوَ المتعلّق بالشّخص هو الذي يتيح الإشاريّة المحدَّدة هنا، وهي إشاريّة "جوهريّة"، لأنّه لا يُعرف أيُّ بديل

مكافئ يحقّق الفعل الإشاريّ المرجعيّ نفسه من غير اللّجوء إلى هذا الشّكل بعينه من الإشاريّة(13).

تشكّل أنماط الإشاريّة المرمَّزة في النّحو تمامًا ما نحتاج إليه، ولم يُعرف لها وجود خارج النّحو، فالإشارة بالسّبّابة تُعدّ أحيانًا شكلًا من الإشاريّة يقع خارج نطاق اللّغة ويظهر في المرحلة "السّابقة على اللّغة"، غير أنّ الأدلّة التي تُظهر تعالقًا بين هذه الإشارة والتّطوّرين المعجميّ والنّحويّ لا تدعم هذا الطّرح (انظر: إيفرسون وغولدن–ميدو، 2005). لكنّ هذه الإشارة، حتّى لو عُدّتْ قدرةً خارج لغويّة، لا يمكنها بحكم طبيعتها أن ترمّز ما ترمّزه صيغتا الشّخص والزّمن. فنحن بحاجة إلى الأشكال النّحويّة الخاصّة بالإشاريّة، وهي ما لا تتيحه الإشارة في اللّغات المنطوقة (أمّا في ما يتعلّق بلغات الإشارة، فانظر: بربرا، 2012). وكما تُظهر تقاليد البحث في الإشاريّة الجوهريّة، فقد جرى الاعتراف منذ زمن طويل بأنّ هذا النّمط من الإشاريّة يسهم في تمييز أفكارنا بعضُها عن بعضٍ؛ وما نضيفه هنا هو أنّه لم يُعرف له وجود، من النّاحية التّجريبيّة، خارج القواعد النّحْويّة.

5. الاستنتاجات والتّوجّهات المستقبليّة

نخلص إلى أنّه، ما لم يظهر دليلٌ مناقض لحجّتنا، فإنّ الأفكار العاديّة المعبَّر عنها باللّغة تتضمّن مفاهيم نحويّة على نحوٍ منهجيّ، ومن ثمَّ لا يمكن أن تكون مستقلّة عن اللّغة. ويترك هذا الاستنتاج مفتوحًا أمام البحث مسألةَ تقديم نموذج يفسّر كيف يمكن للفكر أن يكون لغويًّا بهذا المعنى من منظورٍ عَصَبيّ إدراكيّ. ومع ذلك، فإنّ بناء نموذجٍ إدراكيّ عصبيّ أساسيّ لا يبدو أكثر غموضًا، من حيث المبدأ، من بناء نموذج يوضّح كيف يمكن أن تتجلّى المفاهيم

(13) هذه النّتيجة لا تنفي أنّ هذا الشكل المحدّد من الإشاريّة قد يكون بلا دلالة جوهريّة من منظور الماورائيّات. (كابيلين وديفر، 2013). (الباحثون).

غير النّحويّة في الفكر. تُخزَّن المفاهيم الدّلاليّة غير النّحويّة في شبكة ذاكرة دلاليّة بعيدة المدى موزَّعة على نطاقٍ واسع، وتضمّ بصورة بارزة الفَصَّ الجداريّ السّفليّ والتَّلَمَ الصّدغيّ الأوسط، إضافةً إلى مناطق في الفَصّ الصّدغيّ الإنسيّ، والفَصِّ الجبهيّ الأماميّ، والفَصِّ الجبهيّ السّفليّ (انظر: بيندر وآخرين، 2009). وعند تكوين أيّ فكرةٍ ذات بنية داخليّة، لا بدّ من العودة إلى مخزون الذّاكرة هذا، إذ تتحدّد هويّة الأفكار بحسب المفاهيم المنتقاة تحديدًا دقيقًا. ولتحقيق معنى اقتراحي، لا بدّ من إقامة علاقاتٍ بنيويّة دقيقة بين هذه المفاهيم، بما يشمل صيغ الإسناد (الحَمْل) Predication والإحالة Reference. فإذا كان النّظام الذي يبني هذه العلاقات هو النّحو، فإنّ التّكوينات النّاتجة ستكون ذات بنية نحويّة. ويتوقّف هذا الأمر على اختيار الفئات النّحويّة الصّحيحة، تمامًا كما يتوقّف على انتقاء المفاهيم المعجميّة المناسبة. وحين تُرسَل هذه التّكوينات إلى المراكز الحركيّة لتخطيط الكلام وإنتاجه، فإنّها تظهر منطوقةً (وربّما تشمل كذلك صورًا من "الكلام الداخليّ"، انظر: فاما وآخرين، 2017). وفي هذا النّموذج، لا يوجد نظامُ تفكيرٍ مستقلّ سابقٌ على انتقاء الفئات المعجميّة والنّحويّة التي تشكّل هذا النّمط الخاصّ من الفكر. بل إنّه لو كان مثلُ هذا النّظام موجودًا، لكان سيتطلّب بالضّرورة الآليّةَ ذاتها لتركيب مكوّناته، وهو ما سيؤدّي بنا إلى تسلسلٍ لانهائيّ من التّراجعات(14).

(14) يتّسق النّموذج المطروح هنا مع النّماذج اللسانية المعاصرة (مثل: هينزن وشيهان، 2015؛ ويلتشكو، 2014)، كما ينسجم مع طرح بيرويك وتشومسكي (2011، ص 38)، إذ يؤكّدان أنّ افتراض وجود "لغة فكر" (LOT) مستقلّة عن اللّغة يؤدّي إلى تراجعٍ تفسيريٍّ، فضلًا عن كونه غير ضروريٍّ وغامضًا إلى حدٍّ بعيد. يدعم طرحُنا تحديدًا الطّابعَ المرتبط بـ "مِشرط أوكام" في هذا الحجاج، ويقدّم مسوِّغًا ملموسًا لكون النحو وحده هو الذي يمنح الفكر مضمونه. كما أنّه يقدّم حجّة إضافية مفادها أنّ محاولة ترجمة الفكر ذي البنية النّحويّة إلى "لغة فكر" مفترضة ومستقلّة عن اللّغة ليس مجرّد أمر زائد على الحاجة تفسيرًا، بل هو مستحيل. وهذه الاستحالة ناجمة تحديدًا عن أنّ الارتباط السّياقيّ الذي تؤمّنه كلٌّ من مقولتي الشّخص والزّمن لا يعادل أيّ طريقة غير نحويّة معروفة يمكن بها تضمين المحتوى في سياق محدّد (مثلًا: عبر المُلحقات الزّمنيّة أو الأوصاف المعجميّة). (الباحثون).

على الرّغم من أنّ جميع الصّيغ الحديثة لنظريّة النّسبيّة اللّغويّة وفق المنظور الوورفيّ الحديث تفترض، كما أُشير سابقًا، أنّ الفكر يعتمد على سماتٍ خاصّة بكلّ لغة (عادةً ما تكون الفروق المعجميّة؛ انظر مثلًا: قو وآخرين، 2019)، فإنّ وولف وهولمز (2010) يؤكّدان أنّ هذه النّظريّات جميعها، بما في ذلك أكثرها تطرّفًا والمنسوبة إلى وورف، لا تزال تفترض أنّ الفكر، بوصفه نظامًا، مستقلٌّ عن اللّغة. وعلى النّقيض، يشير الطّرح الحاليّ إلى أنّه، في ما يتّصل بنمط الفكر المعبَّر عنه في اللّغة البشريّة، فإنّ مصطلحي الفكر واللّغة لا يشيران، ولا يمكن لهما أن يشيرا، إلى نوعين طبيعيّين متمايزين. وهذه الفرضيّة تترتّب عليها تبعات عمليّة ذات أهمّيّة، من بينها: (1) ينبغي للنّماذج اللّسانية العصبيّة ألّا تبحث عن نماذج للّغة في الدّماغ بمعزلٍ عن ارتباطها بالفكر. (2) من المتوقَّع أن تكون الاضطرابات العصبيّة والنّفسيّة (أي: اضطرابات الفكر) مصحوبةً على نحوٍ منهجيّ باضطراباتٍ لغويّة (للاطّلاع على أدلّة حديثة حول مجموعة من هذه الاضطرابات، انظر: جوكال وآخرين، 2018؛ إشبيلية وآخرين، 2018؛ هينزن وآخرين، 2019؛ توفار وآخرين، 2019ب؛ تشابين وآخرين، 2023؛ كوركوران وآخرين، 2020؛ شرودر وآخرين، 2021؛ بالومينوس فلوريس وآخرين، 2022؛ هي وآخرين، 2023، 2024). (3) إذا كانت الاضطرابات اللّغويّة، مثل الحُبسة اللّغويّة النّاجمة عن الحوادث الوعائيّة الدّماغيّة في الجزء الأيسر من المخّ، تؤثّر فقط في إمكانيّة الوصول إلى اللّغة (هولا وماكنيل، 2008)، فمن المفترض أن يبقى الفكر سليمًا، وإن كان من المتوقَّع أن تتأثّر بعض الآليّات الدّاعمة للفكر الطّبيعيّ، مثل: الذّاكرة العاملة، والانتباه، وسرعة المعالجة، أو الوظائف التّنفيذيّة (وهذا ما لوحظ بالفعل في عددٍ محدود من الدّراسات الجماعيّة المتاحة في هذا الموضوع: بالدو وآخرون، 2010، 2015؛ فونسيكا وآخرون، 2018؛ لانغ وكويتز، 2012).

وأخيرًا، نؤكّد أنّه حتّى إذا تبنّينا الافتراض الشّائع بأنّ التّفكير ظاهرة كونيّة، فإن حجّتنا لا تستلزم بالضّرورة أنّ جميع اللّغات البشريّة تجسّد المفاهيم النّحويّة نفسها. على سبيل المثال، لا تتضمّن اللّغة الصّينيّة الماندرينيّة علامة

نحويّة تدلّ على الزّمن Tense فهل يعني ذلك أنّ النّاطقين بها يفكّرون بلا إدراك للزّمن؟ الإجابة عن هذا السّؤال تعتمد على نظريّة تُحدّد ما هو كونيّ في المفاهيم النّحويّة مثل الزمن، وهو ما يستلزم بدوره إطارًا لتعريف الفئات النّحويّة بحدّ ذاتها. ومن منظور أحد هذه الأطر (ويلتشكو، 2014)، يُنظر إلى الزّمن على أنّه مثال لمفهوم نحويّ أكثر عموميّة وتجريدًا، يتجلّى في مختلف اللّغات بأساليب متباينة، ولكن عبر مفاهيمَ خاصّةٍ بكلّ لغة تؤدّي الوظيفة ذاتها في كلّ حالة؛ ولهذا السّبب، لا نزعم أنّ مفهوم الزّمن بحدّ ذاته كونيّ، كما أنّ وجود لغات تبدو غير معتمدة على الزّمن لا يتعارض مع طرحنا بأنّ الفكر البشريّ مُنظَّم نحويًّا. لقد عزّزت الاختلافاتُ النّحويّة بين اللّغات عبر العصور الفكرةَ القائلةَ بوجوب وجود مستوى من التّفسير لآليّات العقل لا يتأثّر بهذه الفروقات اللّغويّة السّطحيّة. غير أنّه، إذا كان طرحنا صحيحًا، فإنّ العوامل التّفسيريّة التي تُحدّد نمط التّفكير البشريّ المتميّز ترتبط -على الأقلّ جزئيًّا- بالبنية النّحويّة. لكنّ ذلك لا يعني بالضّرورة أنّ الوسائل النّحويّة التي تؤدّي إلى هذا التّأثير يجب أن تكون متماثلة في جميع اللّغات، بل يسمح بوجود تفاعل بين الخصائص الصّرفيّة-النّحويّة والصّرفيّة-المعجميّة الفريدة لكلّ لغة وبين المبادئ العامّة المشتركة.

المراجع

1. Adger, D., & Harbour, D. (2007). Syntax and syncretisms of the person case constraint. Syntax, 10, 2–37.

2. Astington, J. W., & Jenkins, J. M. (1999). A longitudinal study of the relation between language and theory-of-mind development. Developmental Psychology, 35(5), 1311–1320.
3. Baker, M. C. (2003). Lexical categories: Verbs, nouns and adjectives. Cambridge University Press.
4. Baldo, J., Bunge, S., Wilson, S., & Dronkers, N. (2010). Is relational reasoning dependent on language? A voxel-based lesion symptom mapping study. Brain & Language, 113, 59–64.
5. Baldo, J., Paulraj, S., Curran, B., & Dronkers, N. (2015). The relationship between language and reasoning: Evidence from individuals with language impairment. Frontiers in Psychology, 6, 1523. https://doi.org/10.3389/fpsyg.2015.01523
6. Barbera`, G. (2012). The meaning of space in Catalan Sign Language (LSC). Reference, specificity and structure in signed discourse [Unpublished doctoral dissertation]. Universitat Pompeu Fabra. http://hdl.handle.net/10803/81074
7. Bates, E., Wulfeck, B., & McWhinney, B. (1991). Cross-linguistic research in aphasia. Brain & Language, 41, 123–148.
8. Bergelson, E., & Aslin, R. N. (2017). Nature and origins of the lexicon in 6-mo-olds. Proceedings of the National Academy of Sciences of the United States of America, 114(49), 12916–12921.
9. Bergelson, E., & Swingley, D. (2012). At 6–9 months, human infants know the meanings of many common nouns. Proceedings of the National Academy of Sciences of the United States of America, 109(9), 3253–3258.
10. Berwick, R. C., & Chomsky, N. (2011). The biolinguistic program: The current state of its evolution and development. In A. Di Sciullo & C. Boeckx (Eds.), Biolinguistic investigations. MIT Press.
11. Binder, J., Desai, R., Graves, W., & Conant, L. (2009). Where is the semantic system? A critical review and meta-analysis of 120 functional neuroimaging studies. Cerebral Cortex, 19(12), 2767–2796.
12. Bisang, W. (2010). Word classes. In J. Song (Ed.), The Oxford handbook of language typology. Oxford University Press.
13. Bloom, P., & Keil, F. (2001). Thinking through language. Mind & Language, 16(4), 351–367.

14. Bochnak, R. (2019). Future reference with and without future marking. Language and Linguistics Compass, 13, e12307. https://doi.org/10.1111/lnc3.12307
15. Bonet, E. (1991). Morphology after syntax: Pronominal clitics in Romance [Unpublished doctoral dissertation]. MIT.
16. Cappelen, H., & Dever, J. (2013). The inessential indexical: On the philosophical insignificance of perspective and the first person. Oxford University Press.
17. Cardinaletti, A., & Starke, M. (1999). The typology of structural deficiency: A case study of three classes of pronouns. In H. van Riemsdijk (Ed.), Clitics in the languages of Europe (pp. 145–233). Mouton de Gruyter.
18. Chapin, K., Clarke, N., Garrard, P., & Hinzen, W. (2022). A finer-grained linguistic profile of Alzheimer's disease and Mild Cognitive Impairment. Journal of Neurolinguistics, 63, 101069. https://doi.org/10.1016/j.jneuroling.2022.101069
19. C¸okal, D., Sevilla, G., Jones, W. S., Zimmerer, V., Deamer, F., Douglas, M., Spencer, H., Turkington, D., Ferrier, N., Varley, R., Watson, S., & Hinzen, W. (2018). The language profile of formal thought disorder. Npj Schizophrenia, 4(1), 18.
20. Corcoran, C. M., Mittal, V. A., Bearden, C. E., Gur, R. E., Hitczenko, K., Bilgrami, Z., Savic, A., Cecchi,
21. G. A., & Wolff, P. (2020). Language as a biomarker for psychosis: A natural language processing approach. Schizophrenia Research, 226, 158–166. https://doi.org/10.1016/j.schres.2020.04.032
22. Croft, W. (2007). The origins of grammar in the verbalization of experience. Cognitive Linguistics, 18(3),339–382.
23. Cusack, R., Wild, C. J., Zubiaurre-Elorza, L., & Linke, A. C. (2018). Why does language not emerge until the second year? Hearing Research, 366, 75–81.
24. De´chaine, R.-M., & Wiltschko, M. (2002). Decomposing pronouns. Linguistic Inquiry, 33, 409–442.
25. Dehaene-Lambertz, G., Hertz-Pannier, L., Dubois, J., Meriaux, S., Roche, A., Sigman, M., & Dehaene, S. (2006). Functional organization of perisylvian activation during presentation of sentences in preverbal infants. Proceedings of the National Academy of Sciences of the United States of America, 103(38), 14240–14245. https://doi.org/10.1073/pnas.0606302103
26. DeLancey, S. (1981). An interpretation of split ergativity and related patterns. Language, 57(3), 626–657.

27. Dominguez, S., Devouche, E., Apter, G., & Gratier, M. (2016). The roots of turn-taking in the neonatal period. Infant and Child Development, 25(3), 240–255. https://doi.org/10.1002/icd.1976
28. Dubois, J., Benders, M., Lazeyras, F., Borradori-Tolsa, C., Ha-Vinh Leuchter, R., Mangin, J. F., & Hu¨ppi, P. S. (2010). Structural asymmetries of perisylvian regions in the preterm newborn. NeuroImage, 52(1), 32–42. https://doi.org/10.1016/j.neuroimage.2010.03.054
29. Durrleman, S., Burnel, M., De Villiers, J. G., Thommen, E.,&Delage, H. (2019). The impact of grammar on mentalizing: A training study including children with Autism Spectrum Disorder and Developmental Language Disorder. Frontiers in Psychology, 10, 2478. https://doi.org/10.3389/fpsyg.2019.02478
30. Fama,M. E., Hayward, W., Snider, S. F., Friedman, R. B., &Turkeltaub, P. E. (2017). Subjective experience of inner speech in aphasia. Brain and Language, 164, 32–42. https://doi.org/10.1016/j.bandl.2016.09.009
31. Fedorenko, E., Ryskin, R., &Gibson, E. (2023). Agrammatic output in non-fluent, including Broca's, aphasia as rational behavior. Aphasiology, 37(12), 1981–2000. https://doi.org/10.1080/02687038.2022.2143233
32. Fedorenko, E., & Varley, R. (2016). Language and thought are not the same thing: Evidence from neuroimaging and neurological patients. Annals of the New York Academy of Sciences, 1369(1), 132–153. https://doi.org/10.1111/nyas.13046
33. Ferry, A. L., Hespos, S. J., & Waxman, S. R. (2010). Categorization in 3- and 4-month-old infants: An advantage of words over tones. Child Development, 81(2), 472–479.
34. Fodor, J. A. (1975). The language of thought. Crowell.
35. Fodor, J. A. (2002). Language, thought, and compositionality. Mind & Language, 16(1), 1–15. https://doi.org/10.1111/1468-0017.00153
36. Fonseca, J., Raposo, A., & Pava˜o Martins, I. (2018). Cognitive performance and aphasia recovery. Topics in Stroke Rehabilitation, 25(2), 131–136.
37. Gernsbacher, M. A. (2004). Language is more than speech: A case study. Journal of Developmental and Learning Disorders, 8, 81–98.

38. Gleitman, L. R., Cassidy, K., Nappa, R., Papafragou, A., & Trueswell, J. (2005). Hard words. Language Learning and Development, 1(1), 23–64.
39. Gleitman, L., & Papafragou, A. (2013). Relations between language and thought. In D. Reisberg (Ed.), The Oxford handbook of cognitive psychology (pp. 504–523). Oxford University Press.
40. Gu, Y., Zheng, Y., & Swerts, M. (2019). Which is in front of Chinese people, past or future? The effect of language and culture on temporal gestures and spatial conceptions of time. Cognitive Science, 43, e12804.
41. He, R., Alonso-Sa´nchez, M. F., Sepulcre, J., Palaniyappan, L., & Hinzen, W. (2023). Changes in the structure of spontaneous speech predict the disruption of cortical gradients. bioRxiv. https://doi.org/
42. 10.1101/2023.12.12.570989
43. He, R., Palominos, C., Zhang, H., Alonso-Sa´nchez, M., Palaniyappan, L., & Hinzen, W. (2024). Navigating
44. the semantic space: Unraveling the structure of meaning in psychosis using different computational language models. Psychiatry Research, 333, 115752. https://doi.org/10.1016/j.psychres.2024.115752
45. Hinzen, W. (2015). Nothing is hidden: Contextualism and the syntax-semantics interface. Mind & Language, 30(3), 259–291. https://doi.org/10.1111/mila.12080
46. Hinzen, W., & Martin, T. (2021). De se or not de se: A question of grammar. Language Sciences, 85, 101343. https://doi.org/10.1016/j.langsci.2020.101343
47. Hinzen, W., & Sheehan, M. (2015). The philosophy of universal grammar. Oxford University Press.
48. Hinzen, W., Slusna, D., Schroeder, K., Sevilla, G., & Vila, E. (2019). Mind-Language? The significance of non-verbal autism. Mind & Language, 35(4), 514–538. https://doi.org/10.1111/mila.12257
49. Hula, W. D., & McNeil, M. R. (2008). Models of attention and dual-task performance as explanatory constructs in aphasia. Seminars in Speech and Language, 29(3), 169–187. https://doi.org/10.1055/s- 0028-1082882
50. Ivanova, A. A., Mineroff, Z., Zimmerer, V., Kanwisher, N., Varley, R., & Fedorenko, E. (2021). The language network is

recruited but not required for nonverbal event semantics. Neurobiolology of Language, 2(2), 176–201. https://doi.org/10.1162/nol_a_00030

51. Iverson, J. M., & Goldin-Meadow, S. (2005). Gesture paves the way for language development. Psychological Science, 16(5), 367–371.
52. Kroeger, P. (2005). Analyzing grammar: An introduction. Cambridge University Press.
53. Landau, I. (2008). Two routes of control: Evidence from Case transmission in Russian. Natural Language and Linguistic Theory, 26, 877–924.
54. Lang, C., & Quitz, A. (2012). Verbal and nonverbal memory impairment in aphasia. Journal of Neurology, 259, 1655–1661.
55. Langacker, R. W. (1999). Grammar and conceptualization. Mouton de Gruyter.
56. Laureys, S., Pellas, F., Eeckhout, P. V., Ghorbel, S., Schnakers, C., Perrin, F., Berre´, J., Faymonville, M.,
57. Pantke, K., Damas, F., Lamy, M., Moonen, G.,&Goldman, S. (2005). The locked-in syndrome: what is it like to be conscious but paralyzed and voiceless? Progress in Brain Research, 150, 495–511.
58. Levelt, W. J. M. (1989). Speaking: From intention to articulation. MIT Press.
59. Luı´s,A. R.,&Kaiser,G.A. (2016). Clitic pronouns: Phonology,morphology, and syntax. InW. L.Wetzels, J. Costa, & S.Menuzzi (Eds.), The handbook of Portuguese linguistics (pp. 210–233). Wiley-Blackwell.
60. Lupyan, G. (2016). The centrality of language in human cognition. Language Learning, 66, 516–553.
61. https://doi.org/10.1111/lang.12155
62. Marno, H., Farroni, T., Vidal Dos Santos, Y., Ekramnia, M., Nespor, M., & Mehler, J. (2015). Can you see what I am talking about? Human speech triggers referential expectation in four-month-old infants. Scientific reports, 5, 13594. https://doi.org/10.1038/srep13594

63. Martin, T., & Hinzen, W. (2014). The grammar of the essential indexical. Lingua, 148, 95–117.
64. Matthewson, L. (2006). Temporal semantics in a superficially tenseless language. Linguistics and
65. Philosophy, 29(6), 673–713. https://doi.org/10.1007/s10988-006-9010-6
66. McNeil, M. R. (1988). Aphasia in the adults. In N. J. Lass, L. V. McReynolds, J. L. Northern, & D.
67. E. Yoder (Eds.), Handbook of speech-language pathology and audiology (pp. 738–786). W.B. Saunders Company.
68. McNeil, M. R., & Pratt, S. R. (2001). Defining aphasia: Some theoretical and clinical implications of operating from a formal definition. Aphasiology, 15(10–11), 901–911.
69. Mirman, D., & Britt, A. E. (2014). What we talk about when we talk about access deficits. Philosophical Transactions of the Royal Society B, 369(1634), 20120388.
https://doi.org/10.1098/rstb.2012.0388.
70. Novack, M. A., & Waxman, S. (2019). Becoming human: Human infants link language and cognition, but what about the other great apes? Philosophical Transactions of the Royal Society B, 375(1789),20180408. https://doi.org/10.1098/rstb.2018.0408
71. Palominos, C., Figueroa-Barra, A., & Hinzen, W. (2023). Coreference delays in psychotic discourse: Widening the temporal window. Schizophrenia Bulletin, 49 (Supplement 2), S153–S162. https://doi.org/10.1093/schbul/sbac102.
72. Perry, J. (1993). The problem of the essential indexical and other essays. Oxford University Press.
73. Saad, A. G., & Goldfeld, M. (2009). Echolalia in the language development of autistic individuals: A bibliographical review. Pró-Fono Revista De Atualização Científica, 3, 255–260. https://doi.org/10.1590/s0104-56872009000300013.
74. Sauerland, U., & Alexiadou, A. (2020). Generative grammar: A meaning first approach. Frontiers in Psychology, 11, 571295.
75. Schroeder, K., Durrleman, S., Sanfeliu, A., & Hinzen, W. (2021). Relations between intensionality, theory of mind and complex

syntax in autism spectrum conditions. Cognitive Development, 59,101071. https://doi.org/10.1016/j.cogdev.2021.101071

76. Sevilla, G., Rossello´, J., Salvador, R., Sarro´, S., Lo´pez-Araquistain, L., Pomarol-Clotet, E., & Hinzen, W. (2018). Deficits in nominal reference identify thought disordered speech in a narrative production

77. task. PLoS ONE, 13(8), e0201545.

https://doi.org/10.1371/journal.pone.0201545

78. Sigurðsson, H. A ´ . (2004). The syntax of person, tense and speech features. Rivista Di Linguistica, 16,219–251.

79. Stromswold, K., & Lichtenstein, A. (2017). The relationship between phoneme production and perception in speech-impaired and typically-developing children. Biolinguistics, 11, 31–55.

80. Svenonius, P. (2002). Icelandic case and the structure of events. The Journal of Comparative Germanic Linguistics, 5, 197–225.

81. Tager-Flusberg, H., & Joseph, R. M. (2005). How language facilitates the acquisition of false-belief understanding in children with autism. In J. W. Astington & J. A. Baird (Eds.), Why language matters for theory of mind (pp. 298–318). Oxford University Press.

82. Tovar, A., Garı´ Soler, A., Ruiz-Idiago, J., Viladrich, C. M., Pomarol-Clotet, E., Rossello´, J., & Hinzen,

83. W. (2019b). Specifying linguistic impairment in manifest and pre-manifest Huntington's disease: A more fine-grained analysis. Journal of Communication Disorders, 83, 105970. https://doi.org/10.1016/j.jcomdis.2019.105970

84. Tovar, A., Schmeisser, S., Gari, A., Morey, C., & Hinzen, W. (2019a). Language disintegration under conditions of severe formal thought disorder. Glossa A Journal of General Linguistics, 4(1), 134. https://doi.org/10.5334/gjgl.720U¨

85. nal, E., & Papafragou, A. (2020). Relations between language and cognition: Evidentiality and sources of knowledge. Topics in Cognitive Science, 12, 115–135.https://doi.org/10.1111/tops.12355

86. van den Berg, R. (1989). A grammar of the Muna language. Foris.

87. Varley, R., & Siegal, M. (2000). Evidence for cognition without grammar from causal reasoning and 'theory of mind' in an agrammatic aphasic patient. Current Biology, 10, 723–726.
88. Vouloumanos, A., & Werker, J. (2007). Listening to language at birth: Evidence for a bias for speech in neonates. Developmental Science, 10(2), 159–171.
89. Vouloumanos, A., & Waxman, S. R. (2014). Listen up! Speech is for thinking during infancy. Trends in Cognitive Science, 18(12), 642–646. https://doi.org/10.1016/j.tics.2014.10.001.
90. Wagner, L., & Lakusta, L. (2009). Using language to navigate the infant mind. Perspectives on Psychological Science: A Journal of the Association for Psychological Science, 4(2), 177–184. https://doi.org/10.1111/j.1745-6924.2009.01117.x
91. Wiltschko, M. (2003). On the interpretability of tense on D and its consequences for case theory. Lingua,113(7), 659–696.
92. Wiltschko, M. (2014). The universal structure of categories. Cambridge University Press.
93. Wolff, P., & Holmes, K. J. (2010). Linguistic relativity. WIREs. Cognitive Science, 2, 253–265. https://doi.org/10.1002/wcs.104
94. Zagona, K. (1999). Structural case and tense construal. In J.-M. Authier, B. Bullock, & L. Reed (Eds.),Formal perspectives on Romance linguistics (pp. 305–327). John Benjamins